

## أ.د. عماد عبدالسلام رؤوف: في بعض مواقفه الإنسانية والعلمية

أ. د. نوري عبد الحميد خليل \*

تعرفت الدكتور عماد عبد السلام في سبعينيات القرن الماضي وكنا طالبين في الدراسات العليا، إذ التقيت به لأول مرة اثناء زيارتي لمكتبة المجمع العلمي العراقي، وكانت من المكتبات التي تحوي الكثير من المخطوطات والكتب النفيسة. كان هدف الزيارة البحث عن مصادر لموضوع رسالتي للماجستير التي سجلتها عام ١٩٧٤ لكلية الآداب بجامعة بغداد وعنوانها (العراق في العهد الجلائري: دراسة في اوضاعه الإدارية والاقتصادية) وهناك تعارفنا إذ كان يعمل على جمع معلومات لإطروحته للدكتوراه وعنوانها (الحياة الاجتماعية في العراق إبان عهد المماليك ١٧٤٩-١٨٣١) التي سجلها في جامعة القاهرة ونوقشت عام ١٩٧٦م، وعلمت منه انه حصل على شهادة الماجستير من الجامعة نفسها عن رسالة عنوانها (ولاية الموصل في عهد آل الجليلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤) والتي نوقشت عام ١٩٧٣م).

وحين اطلع على عنوان رسالتي قال مبتسماً «يبدو انك اخترت موضوعاً جديداً وصعباً، فالمصادر التي كتبت عنه بالعربية تكاد تكون شبه معدومة وإن الموضوع يصلح لان يكون بحثاً لرسالة ماجستير ولا بد من رجوعك الى مصادر بالفارسية والتركية وإن وفقت في ذلك فستأتي بشيء جديد كثير الفائدة» ثم تواصلت اللقاءات بيننا طوال مدة مكوثه ببغداد.

وبعد تخرجي وحصولي على شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث من كلية الآداب بجامعة بغداد عام ١٩٧٩م تم نقل خدماتي من وزارة التربية الى وزارة التعليم العالي وعُينت تدريسياً في كلية التربية التي كان الدكتور عماد يعمل فيها وعادت علاقتنا الاخوية مرة أخرى.

\* الجامعة الاهلية / كلية التربية





كنا نجلس في غرفة واحدة وكان اختصاصنا واحداً واهتماماتنا متشابهة وافكارنا متقاربة وكثيراً ما كنا ندخل في حوارات في اوقات الفراغ عن احوال العراق طوال القرون الممتدة بين نهاية الحكم العباسي ونهاية الحكم الملكي في العراق ومصادرهما واهم الكتب التي تبحث فيها واكثرها فائدة، وفي أحيان اخرى كنا نتبادل النكات ولاحظت انه كان اكثر مرحاً مني ويجيد النكتة ويحبها، حافظاً للكثير منها وغالباً ما يشاركنا الاخوة التدريسيون في ذلك .

لم يستمر تواصلنا طويلاً، ففي عام ١٩٨٤ صدر امر ترقيتي الى رتبة استاذ مساعد وسافرت الى المملكة المغربية موفداً للتدريس في كلية الآداب والعلوم الانسانية في فاس / جامعة محمد بن عبدالله. وكانت الاتصالات صعبة جدا حتى عودتي عام ١٩٨٧ فعادت العلاقة إلى ماكانت عليه. وترقى الدكتور عماد الى مرتبة الأستاذية في العام التالي وحصلت انا عليها ايضا عام ١٩٨٩.

وكان العراق قد شهد في العام الأخير نشاطاً علمياً وثقافياً في المراكز العلمية والثقافية وفي جامعات البلاد عامة. ومن هذه المراكز مركز إحياء التراث العلمي العربي ووزارة الثقافة والمجمع العلمي العراقي وقد عملنا معاً في هذه المراكز وكانت مشاركتنا كبيرة في كتابة البحوث وعقد الندوات والمؤتمرات.

وفي وزارة الثقافة شاركنا معاً في الكثير من الندوات والمؤتمرات ونشطت الوزارة في طبع الكتب ورسائل وأطاريح الكلية ونشرها وتوزيعها، وكنا نكلف بتقييم تلك الكتب قبل طبعها، وشاركنا في كتابة الموسوعات والكتب التي تولت الوزارة الاشراف على تأليفها وطبعها

ومنها موسوعة حضارة العراق، والعراق في مواجهة التحديات، والعراق قديمه وحديثه فضلا عن المشاركة في كتابة الجزء الاول من موسوعة تاريخ القوات العراقية المسلحة الذي أشرفت عليه لجنة من وزارة الدفاع فتم تأليفه وطبعه. وفي المجمع العلمي العراقي الذي كان الدكتور عماد يعمل فيه خبيراً، تم إختياري عضواً في الفريق الإستشاري في قسم الدراسات التاريخية وشاركنا في معظم الندوات والمؤتمرات والمحاضرات التي أقامها.

وعند تأسيس بيت الحكمة عام ١٩٩٦ تم اختيارنا أعضاء في قسم الدراسات التاريخية، وأوكلت لنا مهام إدارية وإدارة الندوات والمؤتمرات العلمية ومهمة عضوين دائمين في لجنة الوثائق. وشاركنا في موسوعة أعلام العرب، كما اشتركنا في تأليف الكتب المنهجية الخاصة بالتاريخ الحديث والمعاصر في وزارة التربية، وفي الندوات التي أقامتها وزارة التجارة عن الحصار الإقتصادي على العراق عام ١٩٩٠ وأثاره الاقتصادية والاجتماعية.

ويحسب له انه من الناشطين في منظمات المجتمع المدني والجمعيات الادبية والعلمية فهو عضو في إتحاد المؤرخين العرب، وجمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، الجمعية الفلسفية، جمعية الفنانين التشكيليين، رئيس اتحاد الكتاب والمؤلفين في العراق ورئيس تحرير مجلتهم، عضو مؤسس للجمعية العربية للدراسات العثمانية / تونس، عضو جمعية المؤرخين، ولجنة الوثائق والمخطوطات ولجنة التاريخ والأكاديمية الكردية في كردستان العراق وعضو في هيئات استشارية وتحرير مجلات علمية عراقية وعربية.

وعلى الصعيد العملي شارك في الكثير من

الندوات والاحاديث الاذاعية والتلفزيونية والفضائيات المختلفة في موضوعات التراث العلمي العربي والمدن العراقية والاسلامية والخطط والآثار العمرانية من مساجد وأوقاف ومكتبات واسوار وعن الحضارة الاسلامية وسير الأعلام والزعماء والكتب ومسلسلات تاريخية يعدها ويقدمها بنفسه. ولانه يميل للفن التشكيلي فقد شارك في معارض فنية ولايزال يزاوّل الرسم والسيراميك.

وبجهوده ومتابعاته للكشف عن الحقائق المهمة توصل الى معلومات عن خطط مدينة بغداد ومعالمها وبعض المدن الاخرى، فتم اكتشاف قبر الخليفة المستعصم بالله العباسي الذي قتله المغول مع افراد اسرته عام ١٢٥٨، وقامت السلطات المعنية ببناء القبر في مكانه وتمت إقامة مسجد. كما انه حدد مكان قبر الشاعر الكبير المتنبّي في ضوء وثائق عُثر عليها في المحكمة الشرعية ببغداد. وكذلك قبر المؤرخ الكبير الطبري، وقبر الإمام أحمد بن حنبل في بغداد. وتمكن من قراءة الكثير من الكتابات على شواهد بعض القبور القديمة والتي لها دلالات تاريخية واهمية في كتابة سير اصحابها. اما منهجيته في كتابة التاريخ الذي هو من أجلّ العلوم الانسانية واكثرها فائدة لبني الانسان فأستطيع القول بكل ثقة انه استطاع ان يجمع ما بين المناهج التي اختطها اجدادنا المؤرخون العرب وبين ما اقتره المناهج الحديثة لهذا العلم والتي وضعها كبار المؤرخين الغربيين، متبعا ذلك في كل دراساته التاريخية والكتب التي حققها أو ألفها وبحوثه العلمية متجاوزا ماهو عام الى كل ماهو خاص، فكان قليل الكتابة في التاريخ العام والسياسي باعتبار ان هذا النوع من التاريخ قد كتب فيه كثيرون من عراقيين

وعرب واجانب وراح يركز على خصوصيات موضوع التراث والحضارة والتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والفكري والعسكري إيماناً منه بأن ما تركه العرب من تراث وكل ما خلفته الامة وكل ما ساعدت وشاركت في بنائه ورعايته وتطويره من حضارة وتقدم علمي ومأثورات، هو رصيد كبير يعبر عما كانت عليه الأمة من تقدم ورقي. وان المستشرقين قد اقبلوا على دراسته ونشره ولكن علماء الامة اولى بذلك فخصص جانباً كبيراً من جهده في احياء تراث الامة باعتباره الأصل الذي يرجع اليه في بناء الحاضر والمستقبل والذي يجب ان يقنّدي به الجيل الحاضر ويستلهمه.

وهو يرى ان التراث اكثر اهمية من ان يكون مجرد تقديس للماضي فهو ليس مجرد اشياء نتفرج عليها «انه يتمثل بما يكمن في ذلك الماضي وشواخصه المتبقية من روح الامة وشخصيتها المتميزة». وقال «ان تراثنا في الحقيقة روح وقيم فلا معنى لان نحافظ على شكل التراث ونفقد مضمونه والا فما معنى الابقاء على مبنى قديم او عمل فني عبر عن ذوق اهل عصره ان لم يكن ذلك المبنى او ذلك العمل يعبر عن الروح الباقية للأمة؟».

ويؤكد دائماً «ان الحفاظ على الشكل دون المضمون هو جهد لا يستحق ثمنه فالخان القديم مثلاً لايمكن ان يضاهي اي سوق عصري اليوم سعة وفخامة لكنه يعبر عن قيم النشاط التجاري والاقتصادي للشعب. ومبنى مدرسة قديم لايعني شيئاً امام مباني جامعاتنا اليوم الا إنه يبقى خير مثل لقيم العلم واحترام العلماء. والعمل الفني المنفذ بأدوات بدائية لايقارن بالأعمال الفنية الحديثة لكنه يبقى يؤكد على القيم الجمالية العالمية التي تمتعت





بها الامة، والمحلة القديمة بدروبها الضيقة لاتقارن بالاحياء الحديثة كعماراتها العالية وشوارعها الفارحة لكنها تعبر من دون شك عن قوة النسيج الإجتماعي الذي كان عليه المجتمع».

وفي ضوء هذه الرؤية وهذا المنهج شرع الدكتور عماد في دراسة الحضارة العربية الاسلامية وعني بدراسة المخطوطات غير المحققة وعمل على تحقيقها ونشرها واعداد فهارس علمية للمخطوطات ومعاجم تاريخية وجرّد الكتب في المكتبات العامة والخاصة والمساجد والاقواف ومراكز الثقافة والعلم. والمدن العربية والاسلامية متابعاً خططها ومعالمها الرئيسية، محلاتها واصول اسمائها واشكال ادارتها وسلطاتها الادارية والمدارس والمساجد والمارستانات وسير العلماء ومولفاتهم ودواوينهم الشعرية، والقوميات والاديان، اعيان المدن بيوتاتها وعشائرها واسرها العلمية، تاريخ بعض الولايات، حياتها الاقتصادية وبنيتها الاجتماعية. الامارات العربية والكردية والتركمانية فيها، الاسر الحاكمة، القرى واصول تسمياتها، الحياة الاقتصادية، النقود والمسكوكات، الحركات الاجتماعية، الرحلات الجغرافية كبار المؤرخين في التاريخ الاسلامي والحديث، مذكرات الساسة والعلماء، الكتبيين والخطاطين المشهورين شهيرات النساء ودورهن في الحياة العامة كتب الانساب، والاصناف والحرف، نشر الوثائق وسجلات المحاكم الشرعية، المعادن والاحجار الكريمة أسماءها مصطلحاتها، منافعها، الوانها واماكن وجودها ومشاريع مياه الشرب القديمة. وتعرض لبعض معارك العرب الحاسمة.

ليصوغ من هذه الموضوعات جميعاً تاريخياً شاملاً وعماماً للعراق وللامة العربية والاسلامية في العهود الماضية بصورة اقرب الى الواقع، ماكانوا عليه من حضارة وتقدم ويكون منها منارة تهدي الاجيال الحاضرة والمقبلة تذكركم بمجد الأباء والأجداد وتقول لهم هذا مجدكم فكونوا مثلهم عليكم ان تكملوا هذا المسيرة الحافلة بالعتاء وارساء أسس الحضارة الانسانية المعاصرة. عليكم ان لاتكتفوا باجتراح الماضي والتباهي به بل عليكم مواصلة المسيرة وتقديم المزيد لتناولوا احترام العالم وتقديرهم. ومن خلال استقرائه للتاريخ قدم مقارنة مابين الماضي والحاضر. وبين حالة العرب اليوم وماهو عليه العالم الغربي الذين أعتمدوا وسائل الحضارة العربية اساساً لنهضتهم ويحث العرب على ان يبقوا متماسكين وموحدين وان يهتموا بتاريخهم. وما فيه من عبر وتجارب مشدداً على أهميته في حياة الشعوب وتماسكها ، فالتاريخ عنده احد مقومات الشخصية القومية للأمة وأحد اركان نهضتها والامم تفخر دائماً بتاريخها والعرب أحق بالافتخار بتاريخهم المشرق وعليهم ان يوظفوا هذا التاريخ توظيفاً يدفعهم للعتاء والعمل والارتقاء نحو الافضل وقال « إن اهمية التاريخ في حياة الشعوب تتأكد من خلال تقديمه صورة الجذور التي ينتمي اليها ذلك الشعب فالتاريخ يمثل الهوية لكل شعب. وحينما تختل المفاهيم لايبقى غير التاريخ هوية ثابتة لشعب من الشعوب والأمة التي تجهل تاريخها أمة بلاهوية ومن لا هوية له يمكن ان يقع ضحية الاخرين ويسقط تحت تأثير التحديات المستمرة». وأكد على اهمية عدم الاكتفاء بالنظر الى

الماضي والاعجاب به او التوقف عنده بل علينا ان نتوافق مع زماننا الذي نعيش فيه وان نبني للمستقبل كما فعل الغربيون الذين استفادوا من ماضيهم وحاضرهم وفي جواب عن سؤال وجه اليه حول العولمة قال « انها الغاء للتعددية والهويات وهي لاتبقي سوى نظام شمولي واحد واقتصاد واحد ودولة واحدة تفرض هيمنتها على العالم كله وأرى ان هذا شيء لم يميز بعد ونحن لاتستطيع ان نقم هذه التجربة الجديدة فهناك من التنوع ماهو ضروري لاستمرار الحياة والغاء هذا التنوع يعني نهاية العالم كما هم يقولون».

ويضرب مثلاً على أهمية التاريخ في نهضة الأمم من تاريخ العرب نفسه اذ عرف العرب في القرن التاسع حركة نهضوية جادة من خلال محاولة النخب المثقفة الاقتداء باعلام الامة في العهود السابقة ومن اسماهم القمم البارزة من اعلام الامة، فكان التاريخ حاضراً في اذهانهم لكنه تحول فيما بعد الى ما سماه (محراب توقد فيه البخور) ففقد الانسان القدرة على التفاعل مع الماضي ومواصلة حركة التقدم اكتفوا بالنظر الى الماضي والاعجاب به والتوقف عنده على خلاف الغربيين الذين استفادوا من ماضيهم وحاضرهم. وقارن بين ما عليه الانسان العربي وبين

الانسان الغربي. فالغربي يرى حلمه في افق المستقبل، هو يقرأ الماضي بينما العربي لا يرى إلا الماضي والعرب لم يستثمروا التعددية والتنوع والتمايز الذي هو ضروري لاستمرار حركة التفاعل وحركة التاريخ واستمرار الحياة بل استخدمت في اثاره الفتن والخلافات التي صارت العلة في تأخر العرب.

ويرى كذلك ان العلة في تأخر العرب تكمن في (العمل) فالغربيون عملوا وصنعوا حاضرهم ومستقبلهم مستفيدين من ماضيهم الذي تفاعلوا معه وهم الان يبنون لمستقبلهم. ونحن الان لانعمل ولافرق بيننا وبينهم سوى العمل وحتى لانندثر علينا ان نعمل ففي حالة اندثارنا سيخسر العالم نفسه لانه سيفقد عنصراً يمكن ان يؤدي دوراً في استمرار التاريخ.

كان الدكتور عماد علما من طراز العلماء العرب القدامى والمحدثين كتبت عنه رسائل علمية عدة في الجامعات العراقية والعربية وكتب ومقالات كثيرة متناولة سيرته الذاتية والعلمية وخدماته. احد هذه الكتب ما كتبه احد طلابه وفاء منه لاستاذة هو الدكتور احمد ناجي الغريبي بعنوان (الدكتور عماد عبد السلام رؤوف: اربعون سنة من دراسة التاريخ وكتابته).



# Dr. Professor Emad Abdul Salam Raouf Some of his Humanity and Scientific Stands

**By: Prof. Dr. Nouri Abdul Hamid Khalil**  
College of Education / AL- Ahlia University

## Abstract

This search is about the researcher's relationship with Dr. Professor Emad Abdul Salam Raouf, He recognized him in the 1970s when they were students of higher studies it was their first meeting in Iraqi Academy of Sciences library the aim of the visit was to search for sources for the subject of the master's degree for the researcher, Dr. Emad was looking for sources for his doctoral thesis, He liked the researcher's master's degree, The researcher then talks about his second meeting with Dr. Emad after receiving his Ph.D. in modern history from the College of Arts, Baghdad University he was assigned as a Instructional in the College of Education where Dr. Emad works They gathered in one room to work, because their competence is the same There have been many dialogues concerning the conditions of Iraq throughout the centuries between the end of the Abbasid rule and the end of the monarchy and the most important books that talked about it.

The researcher said that Dr. Emad was a fun-loving life, but their communication did not last long due to the researcher has been promoted to the rank of assistant professor then he traveled to the Kingdom of Morocco as a delegate to work at Mohammed bin Abdullah University in Fez.

